

دلالات التراكيب في كتاب امام البررة للامام الخوئي

زهراء عماد مطشر

د.رياض ساجت سالم جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

The meanings of the structures in the book Imam al-Barara by

Imam al-Khoei

Zahraa Imad Mutasher

Dr. Riyadh Sajit Salem

University of Baghdad / College of Islamic Sciences

المخلص

أنَّ للمستوى التركيبي أهمية في الكشف عن شعرية الشاعر/الناظم، وأساليبه الشعرية، ومؤثراته الإبداعية، إذ إنَّ قدرة الشاعر الإبداعية في هذا المستوى تكمن في براعته النسقية في التشكيل والتركيب، ذلك " أن إبداع الشاعر لا يعزى إلى الكلمات فقط، وإنما إلى نظم الكلمات وترتيبها واستغلال خواصها الصوتية والصرفية في سبيل تنسيقها في تراكيب متجانسة يضفي عليها الشاعر الكثير من مشاعره؛ وها هنا تتحقق جمالية النظم عن طريق التلاحم القائم بين التركيب المبدع والشعور الخاص، أي بين الوسيلة الفنية والرؤية الداخلية لدى الشاعر .

Abstract

The structural level is important in revealing the poetic nature of the poet/composer, his poetic styles, and his creative influences, as the poet's creative ability at this level lies in his systematic skill in formation and composition, because "the poet's creativity is not attributed to words alone, but to the organization of words, their arrangement, and the exploitation of their phonetic and morphological properties in order to coordinate them in homogeneous structures to which the poet bestows many of his feelings; and here the beauty of the system is achieved through the cohesion between the creative structure and the special feeling, that is, between the artistic means and the poet's inner vision.

المقدمة

ان الشاعر لا يعتمد في بناء قصيدته على انتقاء المفردات واختيار الأساليب النحوية الملائمة بقدر ما يركز على الناحية الفنية، والإيحاءات الفكرية، ووقع الكلمات موسيقياً؛ فهناك مفردات تأتلف مع مفردات من دون غيرها، وهناك أساليب لغوية تتجاوز العرف الشائع إلى الإبداع الخاص، وهذا كله يحتاج إلى مقدرة إبداعية يمكنها تركيب المفردات والتنسيق فيما بينها، فلغة الشعر أغنى وأعمق لا بالكلمات فحسب؛ بل في الصياغات وطرق التركيب، فكل عنصر لغوي في الشعر يستخدم في تطوير قدرة العنصر الآخر، ومن هنا تقوم لغة الشعر على أساس تنظيمي يشارك فيه الشكل الشعري المعنى الشعري في انسجام لا قرين له خارج الشعر (ترمانيني، ص ٩٥)، وبتعبير آخر إنَّ المستوى التركيبي يعمل على كشف براعة وحذاقة الشاعر الفنية في تشكيكه لنصه المؤثر، وبيان مغرباته الجمالية، ومن هنا تكمن "عبقرية الشعراء في استيلاء الكلمات معانٍ جديدة، لم تكن لها قبل أن توضع في هذه التراكيب التي يختارونها" (عبد اللطيف، ١٩٨٣، ص ١٧١)، وإنَّ من أهمِّ الأمور التي تدلُّ على جمالية التراكيب هي إيقاع المقطع، وإيقاع الجملة. أما بالنسبة إلى بناء الجملة الشعرية فإنَّ لها جماليةً خلّاقة، تستثيرُ النسق الشعري، لأنَّ بناءها المتماسك "يكشفُ عبقرية الشاعر، ويظهرُ تفرّده وامتيازَه، لأنَّ الشاعر عليه أن يشقَّ طريقه المتميِّز من خلال كمِّ المفردات الهائل الذي استخدمه قبله مئات الشعراء، ومن خلال الأنظمة النحوية المحدودة، وعليه أن يختار بينها ما يجعله فريداً متميِّزاً، ويعطيه تأشيرة الرحلة عبر العصور والأجيال، وما أمثر الكلمات التي تستعمل عند عدد غير قليل من الشعراء، لكنها في بعض الشعر تكون متألّفة، مشعّة مشحونة بالدلالات لأنها صادفت بناءً دقيقاً، وموقعاً نحويّاً سليماً، وتكون هي نفسها في بعض الشعر الآخر منطقتة قاتمة غير موحية ولا نافذة، لأنها لم تصادف موقعها الملائم، ولا بناءها المناسب، فليست القيمة في المفردات في ذاتها، ولا في النظام النحوي في ذاته، لكنها في الاختيار الدقيق بين المفردات والنظام النحوي". (عبد

اللطف، ١٩٨٣، ص ١٧١) والمطلع على أرجوزة الخوئي قدس سره، يستطيع أن يدرك هندسة جملة بتلك الفنية الأسرة، إذ إنه اشتغل على جملة، ومعناها البلوغ، ورؤاها الخلاقة، لدرجة أن أبياتها سارت في الأرجوزة فكانت قوية المعنى، ومتلاحمة السبك، "فليس النظم شيئاً إلا توحي معاني النحو وإحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم" (الجرجاني، ص ٥٢٥)، والنظم لا يكون إلا "بوضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو، والعمل على قوانينه وأصوله ومعرفة مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها" (الجرجاني، ص ٨١)، وللتدليل على هذه الجمالية في التشكيل في كتاب (علي إمام البررة) لا بد لنا أن نستعين بعلم المعاني لما له من أثر واضح في الأرجوزة، ولما له من أهمية في معرفة حسن الرصف، وجودة السبك، وبراعة التركيب، ولطف الإيجاز، وجزالة الكلمات، وسهولة التركيب، وسلامة الألفاظ وعذوبتها. (قاسم وديب، ٢٠٠٣، ص ٥٩)

المبحث الأول: التقديم والتأخير:

إن لغة العربية نظاماً معيَّناً في ترتيب عناصر الجملة، وهذا النظام ليس ثابتاً بشكل دائم ومستقر، بل إنه في أحوال كثيرة ينزاح يخرج عن قواعده المألوفة، ومن كفيات هذا الانزياح تحريك عنصر من عناصر الجملة أي بتقديمه أو تأخيره، لهذا يعد موضوع التقديم والتأخير من المواضيع التي تناولها الدارسون بالتحليل والتفسير. فالتقديم هو "خلاف التأخير، وهو الأصل في بعض العوامل والمعمولات، ويكون طارئاً في بعضها الآخر، ومما يجب التقديم فيه هو أصل الفعل مع الفاعل، والمبتدأ مع الخبر، والفاعل مع المفعول به، وبقية الفضلات والمكملات" (المبدي، ١٩٨٥، ص ١٨٣)، ومعنى هذا أن كل ما كان له الصدارة أو كان في مقدمة العمل الأدبي، كان من خلال رغبة المؤلف في اللوح والوصول إلى غايته. ولعل من أهم أسباب التقديم أن الألفاظ تتبع المعاني، والمعاني تتقدم لاعتبارات منها (الذات، العلة، الرتبة، الشرف، الزمان)، كما أن تقديم الكلمة على أخرى مؤخره يكون من أجل سهولة النطق وخفة القراءة، أي من أجل إعطاء التألف بين الألفاظ كي تنتج معانٍ واضحة وسليمة، فضلاً عن إضفاء جمالية فنية على اللغة. (المسيري، ٢٠٠٥، ص ٤٩) أما عن التأخير فهو "التغيير الذي يطرأ على جزء من أجزاء الجملة فيؤخره عن موضعه الأصلي"، وبناء على ما سبق يمكننا القول إن نظام الجملة في اللغة العربية لا يمكن أن يخضع لمعيارية تجعله يستعمل النظام نفسه دائماً، بشرط مراعاة السلامة النحوية. وعليه فإن قضية التقديم والتأخير تعد قضية جامعة لعلمين، هما علم البلاغة وعلم النحو، ويمكن اعتبار هذه القضية انزياحاً عن الترتيب الأصلي (شهاب، ٢٠١٠، ص ١٤٣)، أو هو "تبادل في المواقع قترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى لتؤدي غرضاً بلاغياً ما كانت لتؤدي لو أنها بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي" (الشاوي، ص ١٧٧)، والتقديم والتأخير يأتي للعناية والاهتمام بالمقدم "فالظاهر أنهم يقدمون الشيء الذي شأنه أهم، وهم به أعنى، وإن كانا جميعاً مهمين" (سيبويه، ١٩٧٧، ص ١٥). ويذكر الزركشي أن التقديم والتأخير هو واحد من أساليب البلاغة، التي تدل على تمكّن في الفصاحة، وملكة في الكلام وانقياده له، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق (الزركشي، ص ٢٤٣). يقول الخوئي:

أنت وزيرٍ وأميرُ أمتي
على العصاة المارقين حُجتي (الخوئي، ص ١٠٧)

فقد قام الناظم بتقديم الخبر (على العصاة) على المبتدأ (حجتي)، ليؤكد أن المقصود بالحكم هم أولئك (العصاة المارقون)، وكان لاستخدام الناظم لتركيب (على العصاة المارقين حجتي) إيحاءً بأن علياً عليه السلام حجة الله تعالى ورسوله الكريم على من قام بالتخلف عن طاعة الله ورسوله، أو لربما كان لمقام الإمام علي عليه السلام عند الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، ونتيجة لوقوفه في وجه المشركين، وفي حروب الذين خرجوا عن أمره سبب في ذلك اقتضى التقديم والتأخير، لأن علياً هو حجة محمد عليه الصلاة والسلام على أولئك، وبه وفيه يتم الانتصار (كونه حجة لاشك فيها). كما أن الناظم عمد إلى عدم تكراره للمبتدأ في الشطر الأول من البيت الشعري، تجنباً للتكرار في غير موضعه، وليعمل على شدّ ذهن السامع/المتلقي إلى الخبر الذي تم تقديمه، إضافة إلى حسن توظيف النغم الموسيقي المتشكّل نتيجة لذلك الانزياح التركيبي، فاللغة تحرص على انتلاف الجرس. (القلماوي، ١٩٥٩، ص ٨٧) فضلاً عن أن السيد الخوئي قدس سره قد كان بارعاً في تصيده للألفاظ بانقائه للفظ (حجتي)، لينسجم مع تركيب (العصاة المارقين)، أي ليشير إلى لزوم طاعة الإمام علي عليه السلام على أولئك العصاة، فلغة الشعر تتطلب نمطاً معيَّناً من القول، وإن كانت لا تتطلب مفردات خاصة؛ ولذلك فإنها تصل إلى أرقى الدرجات من خلال استخدام الشاعر وسائل التركيب الممكنة جميعها، وما هنا تعتمد جمالية الأسلوب على طريقة تشكيل المفردات في جمل تدخل في سياق يفصله الشاعر نفسه في أثناء عملية الإبداع الشعري". (ترمانيني، ص ٩٦) يقول: وآية التطهير فيكم نزلت
وسنة الهادي بكم قد نطقت (الخوئي، ص ٣٧١)

لا يقف ميدان البلاغة عند حدود اللبّة اللغوي، بل يتخطاها إلى سياقاتها النصية، وهنا يمكننا أن نلاحظ شعريّة التقديم من خلال تقديمه للجار والمجرور (فيكم)، على الفعل (نزلت)، لتخصيص الممدوح بالأهمية (أل بيت الرسول الكريم عليهم السلام)، وهو ما يدل على بلاغة التقديم في

تعميق الفكرة، وتعدد الدلالات، فقد كان بإمكانه أن يرصف جملته هكذا (نزلت فيكم آية التطهير)، لكنه عمد إلى التقديم والتأخير من أجل أن يثبت المعنى في الذهن، وبغية التأثير فيه، في إشارة منه إلى الآية الكريمة "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً" (سورة الاحزاب، آية ٣٣). وهو ما أدى إلى تعميق الرؤية، وبيان نتائجها الدلالية لأن "طرق ترتيب المفردات، وحرص الجمل وتواشجها تعدد من أهم المصادر الدالة على إيقاع اللغة الشعرية، إذ يتجول الشاعر بين مفرداته فيقدم كلمة ويؤخر أخرى ضمن نسق جمالي خاص يفرض على الشاعر نوعاً من الاختيار القهري لتركيب ما يتلاءم مع صميم الموقف الوجداني الذي يعيشه". (ترمانيني، ص ١٠٣) فضلاً عن تقديمه (بكم) شبه الجملة، على الفعل (نطقت)، مع أن الترتيب القواعدي يقتضي القول (وسنة الهادي قد نطقت بكم)، فالأمر الواضح هنا أن السياق قد اقتضى طبيعة التركيب، فالممدوح كان الأقوى تأثيراً في الناظم، وعليه فقد أدرك أن عليه أن يبدع بطريقة الفقللة والإثارة بالطريقة الإبداعية التي تدفع إلى اختيار أسلوب دون آخر، أو طريقة تشكيلية دون أخرى، لهذا اختار التقديم والتأخير، الذي لم يأت به الناظم به بشكل عشوائي واعتباطي، فقد جرى بسلاسة، وإيجاز، وفعالة. ومن أمثله حسن توظيفه للتقديم والتأخير قوله:

وفي الجنان سيداً شبابها الحسان يملكان بابها (الخوائي، ص ٢٩٤)

لا بد لنا أن نشير إلى أن التقديم والتأخير في نظم السيد الخوئي لا يقتصر على شعرية التركيب فقط، بل إنه يرتبط ارتباطاً قوياً بنواتج الدلالة، بمعنى أن القيمة الجمالية للمنظومة تتمحور حول كل ما يمكن أن يثيرها جمالياً، فقد قدم الخبر (في الجنان) على المبتدأ (سيداً شبابها)، وذلك رغبة منه في إبراز دواخله بغية شد انتباه المتلقي ليتساءل ما الذي يمكن أن يوجد في الجنان، ليأتي الجواب سريعاً (سيداً شبابها)، في محاولة منه منح النص ملمح التشويق، إضافة إلى حرصه على التناغم الإيقاعي "فلإيقاع أثره في النفس، من حيث قدرته على إثارة الانفعال المناسب، وإحداث استجابة مطلوبة لاتخاذ الموقف المراد من التجربة الشعرية لأنه يساعد على إحداث التخيل اللازم لإثارة انفعال النفس" يقول السيد الخوئي:

كم مرة قال النبي معلناً مني عليّ واعلموا منه أنا (الخوائي، ص ٨٠)

إن التشكيل اللغوي دوره البارز في تعميق الدلالة، لأنه يوضح الترابط النصي من حيث التركيب والمعنى، فنجد أن السيد الخوئي خلخل النظام التركيبي المؤلف في محاولة منه لخلق دلالات جديدة، فقد قدم الخبر (مني) على المبتدأ (عليّ)، وفي هذا التقديم والتأخير دلالة على أهمية المتقدم، والتشويق إلى المتأخر، فقد أضفى صفات التكريم على الإمام علي عليه السلام من خلال إبراز انتمائه إلى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، غايته في ذلك جذب انتباه المتلقي عندما يسمع لفظ الرسول الكريم، ثم ما لبث أن أتى بتكريم جديد، عندما جعل من النبي الكريم عليه الصلاة والسلام منتماً إلى أمير المؤمنين، وفي هذا القول الشعري تناص مع الحديث الشريف: "إنه مني وأنا منه" (الطبراني، ص ٣١٨)، فالتقديم عند الناظم لم يأت عن فوضى، أو عبثية في التشكيل، إنما جاء ليحل محل المنظومة فاعلة في تموجها وإثارتها الجمالية، فالتقديم عنده لم يأت شكلياً، بل حضر لغاية بلاغية جمالية، وكذلك الأمر في حالة التأخير فهو لم يؤخر المتلازمات إلا لحالة بيانية تكشف عن المعنى العميق، والدلالة البعيدة المقصد. ومن أمثلة تحكّمه وقدرته البلاغية في حالة التقديم والتأخير قوله:

بسيك الإسلام قام واستوى والكفر ولّى مُدبراً ثم هوى (الخوائي، ص ٧٥)

نلاحظ أن البيت مليء بالإبداع، فقد افتتح البيت الشعري بجار ومجرور مقدمين (بسيك)، على المبتدأ (الإسلام)، والأولى أن يقول (الإسلام بسيك قام واستوى)، لكن للناظم غاية من هذا التقديم، وهو إبراز أهمية سيف الإمام علي عليه السلام في التاريخ الإسلامي، وتخصيص دلالة هذا السيف عن غيره من السيوف، وليعود بنا في حالة من الاسترجاع الزماني إلى تلك الملاحم التي تحدثت عن ذلك السيف الناصر للحق وللدن الإسلامي، والذي قال عنه جبريل عليه السلام: "لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار" (الهندي، ٢٠١٥، ص ٧٢٣)، وليؤكد للمتلقي تسليمه بأهمية ذلك الذي به قام الإسلام واستوى. كما قدم كلمة (الكفر) وجعلها مبتدأ في الجملة (الكفر ولّى مُدبراً) ليؤكد على أن إدمار وهروب الكفر من ذلك السيف الحق، الذي سقط أمامه وهوى كل ما يحاول خذلان هذا الدين الإلهي، في صورة بديعة (الكفر ولّى مُدبراً ثم هوى)، وهي استعارة مكنية، فاتحاً السياق على دلالات جديدة، لأنها وجدت المناسبة التي يمكن أن تُبنى عليها، مختاراً ألفاظاً سهلة وضحت هذه الاستعارة لدى المتلقي/السامع "فالشعر كلام منسوخ، ولفظ منظوم، وأحسنه ما تلائم نسجه ولم يسخف، وحسن لفظه ولم يهجن". (العسكري، ١٩٥٩، ص ٥٧) ومن حسن تقديمه أيضاً قوله:

أنت الإمام الفانزون شيعتك أنتجهم من العذاب بيعتك (الخوائي، ص ١٣٠)

فقد عمد إلى تقديم الجار والمجرور (من العذاب) على الفاعل (بيعتك)، وتقدير الجملة هو (أنجتم بيعتك من العذاب)، وذلك في محاولة منه لمنح الجملة التوازن "الذي يشد النفس للنص الشعري، ويشوقها ويجعلها أكثر قبولاً للفن القولي بطبيعتها، وتقع من موقع الاستحسان"، إضافة إلى إضفاء

عنصر التخصيص، وشد المتلقي إلى البيعة التي من دونها لن يستطيعون النجاة من العذاب، وفي هذا تتأص مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: "يا علي إنك ستقدم الله وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضاب مقحمين" (الطبراني، ١٩٩٥، ص ١٨٧). فضلاً عن غايته في تحقيق النغم الموسيقي ليكون النص سهل الحفظ، وأكثر ثباتاً في الذهن. ومن توظيفاته أيضاً للتقديم والتأخير قوله:

ولاية الوصي عنها يُسألُ
قابِلُها ممّن سواهُ يُفصّلُ (الخوئي، ص ١٢٥)

نلاحظ من خلال الأمثلة التي تقدّمت أنّ التقديم والتأخير كان له نصيبٌ كبيرٌ في المنظومة، وخاصة تقديم الجار والمجرور.

المبحث الثالث: التعريف والتكبير:

لقد اعتمد النحاة بشكلٍ أساسيٍّ على الجانبِ الدلاليِّ في حكمهم على تعريف الكلمة وتكبيرها، وعليه ظهر لديهم معايير دلالية ثلاثة تتمثل في "التعيين والشيوع، وعلم المُخاطَب، والإشارة لـخارج". (نحلة، ١٩٩٩، ص ٢١) والجدير بالذكر أنّ النحويين اختلفوا في عدد المعارف، فمنهم من قال إنها أربعة: الضمائر، والعلم، والمعرّف بالأداة، والمضاف لإحداها (ابن قتيبة، ص ٢٠٧)، ومنهم من ذكر أنها خمسة مضيفاً الإشارة (سيبويه، ص ٥)، وآخرون قالوا إنها ستة مضيفين الموصولات (الزمخشري، ص ٣٤٨)، وغيرهم قالوا إنها سبعة بإضافة المنادى النكرة المقصودة (الرضي، ص ٣١٣). لكن الأمر المتعارف عليه بين تلك الآراء جميعها أنّ التكبير يعدّ مطلقاً، والتعريف يأتي لتقييد ذلك الإطلاق، ولتحديد وجوه اللفظ في استعماله ودلالته. وإذا ما تفحصنا المنظومة للسيد الخوئي، نجدّه موظفاً لهذه المعارف والنعرات ففي قوله:

هذا عليٌّ والغديرُ يشهدُ
بأنه المولى الإمامُ الأوحدُ (الخوئي، ص ٤٢٤)

إنّ أصل اسم الإشارة (هذا) في استعماله ليشير إلى القريب الحاضر الذي يمكنُ مشاهدته بالعين، لكنّ السيد الخوئي عند نظمه لهذا البيت لم يكن في حضرة الإمام علي عليه السلام وهذا أمرٌ أكيد، أي إنه لم يكن أمام شخصه المجرد، لكنه استخدم اسم الإشارة (هذا) تعظيماً له، أي إنّ الإمام علي عليه السلام وإن لم يكن حاضراً بشخصه أمام الناظم إلا أنه قريبٌ وحاضرٌ كقرب القلب من القلب، والروح من الروح، فالأجساد من الممكن ألا تلقى لسبب ما ومنها البعد، لكن لا سبيل لذلك مع الأرواح الصافية النقيّة، المحبّة، كما نجدُ من توظيفات التعريف عنده قوله:

أهكذا يكونُ دين المصطفى
أعوذُ بالله على الدنيا العفا (الخوئي، ص ٣٦٢)

فقد قام الناظم بتعريف الدين عن طريق الإضافة (دين المصطفى) في إشارة منه إلى الدين الذي جاء به الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، الدين الإسلامي، وفي هذا التعريف تعظيمٌ لمكانة هذا الدين، بانتسابه إلى الرسول الكريم، وأكد على أهمية هذا الدين ونسبه إلى الرسول الكريم بقوله:

قال أناسٌ مات هادي الأمة
من دون ما يوصي ولم يُهمّه (الخوئي، ص ٣٤٧)

فقد أضاف كلمة الأمة إلى كلمة هادي معزفاً إياها، بأنه الهادي الوحيد والأول للأمة الإسلامية بوساطة الدين والكتاب الذي نزل عليه. ومن استخداماته في منظومته للمعارف هي الضمائر، فقال:

أنت مع القرآن لم تفترقا
وأنت يوم الحشرِ حاملُ اللوا

إلى ورودِ الحوضِ يومَ الملتقى
لواءِ حمِدٍ تحتهُ أهلُ الولا (الخوئي، ص ١٧٢)

فقد استخدم الضمير المنفصل (أنت) المختص بالذكر بالمخاطب، إذ إنّ للضمير هنا وظائف مختلفة أهمّها الإيجاز والاختصار، فيؤتى "بالمضمراتِ كلّها لضربٍ من الإيجاز... لأنك تستغني بالحرف الواحد عن الاسم بكماله" (ابن يعيش، ص ٢٩٢)، ومن وظائف الضمير أيضاً التعيين ورفع الالتباس (الكوفي، ص ٣٢٣)، بمعنى أنه يؤتى بها لتعيين مدلول وفصله من جنسه من دون حدوث لبس، ويذكر الرضي أنّ "المقصود من وضع المضمرات رفع الالتباس، فإنّ (أنا) و(أنت) لا يصلحان إلا لمعيّنين، وكذلك ضمير الغائب نصّ في أنّ المراد هو المذكور بعينه" (الرضي، ص ٨)، فضمائر المتكلم والمخاطب تتعين بالحضور والمشاهدة، أما ضمائر الغائب فيتقدّمها مدلولها في أغلب الأحيان، وبناء عليه فإنّ استخدام السيّد الخوئي للضمير المخاطب (أنت) فيه تمنّ مضمّر بأن يلتقي بالإمام علي عليه السلام، وإشارة منه على قربهِ وحضوره الدائم، وارتباطه الوثيق به، لأنه حاملُ اللواء يوم الحشر. كما أنه وظّف المعارف في منظومته مستخدماً اسم العلم، يقول:

عليّ الفاروقُ أفضى أمتي
ووارثي مُنفذٌ وصيّتي (الخوئي، ص ١٦٨)

إنّ اسم العلم يختلف عن بقية المعارف في أنه يعيّن مسماه بلا قرينة، فهو يكتسبُ التعريف بالوضع حيث يوضّع ليدلّ على معيّن في جنسه لا يشمل غيره، (عليّ)، ليتبارك بذكر اسمه على لسانه، ولأنّ له وقعاً خاصاً في النفوس، ومن أنواعه أيضاً اللقب، وهو الذي استخدمه الناظم (الفاروق)، عامداً إلى ذكر واحدٍ من ألقابه متناصاً مع الحديث الشريف: "عليّ أول من آمن بي، وأول من يصادفني يوم القيامة، وهو الصديق

الأكبر، وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل" (الخراساني، ١٩٧٨، ص ٣٩)، مؤكداً على دلالة هذه الكلمة في خدمة منظومته، فهو أفضى القضاة في هذه الأمة، وهو الوحيد القادر على التفريق بين الحق والباطل، وهو منفذ الوصية، وتجدر الملاحظة هنا إلى أن الناظم استعمل اسم التفضيل (أفضى) مضافاً إلى معرفة قاصداً به التفضيل المطلق (الجديدة، ص ٢٥٦)، أي لا أحد سواه، فاستطاع أن يوصل إلى المتلقي الغرض الذي سعى إليه، والدلالة المطلوبة. فضلاً عن استعماله لاسم الفاعل دوناً عن بقية المشتقات لما له من دلالة على الثبوت والديمومة (وارثي، منفذ) ومن حسن توظيفه للتكثير قوله:

لا ينكرُ الغدير إلا جاحدٌ
مكابِرٌ منافقٌ معاندٌ (الخوئي، ص ٢٤٣)

فقد ذكر أسماء الفاعل (جاحد، مكابر، منافق، مُعاند) للدلالة على ثبوت العناد والجحود والكفر والنفاق، على سبيل التكثير لأنه لا يحدّد شخصاً بعينه، بل إنّه يقصدُ أي شخصٍ يتّصف بهذه الصفات، وفي كلّ زمانٍ ومكان، فالجاحد والمنافق والمكابر والخ موجود في كل زمانٍ ومكان أي على مدى التاريخ، وهؤلاء هم النكرون لولاية علي عليه السلام، والمقصود عند الناظم أنّ موالاة الإمام علي عليه السلام غير محصورة بزمانٍ معيّن، بل إنها موالاةٌ أبدية. كما نجدُ من استعماله للتكثير قوله:

قال أناسٌ ماتَ هادي الأمة
من دونِ ما يوصي ولم يهّمه (الخوئي، ص ٣٤٧)

عمدَ إلى تكثير كلمة (أناس)، بغرض التحقير، والتقليل من شأن ما يقولونه والذي ينكرّر في كل زمانٍ ومكان، بادعائهم أنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام، لم يوصي لعليّ بالولاية. وقال أيضاً في معرض استعماله للتكثير:

ضربته في خندقٍ أفضلٍ من
جميع ما يأتي به أنسٌ وجن (الخوئي، ص ٣٤٧)

ومن ممّا لا يعرف حادثة الخندق، لكنّ الناظم عمّد إلى تكثيرها في هذا المقام في إشارةٍ منه إلى التهويل والتعظيم "فللنكرة من النفس لها فخامة وتكتسي منها وسامة". (الزملكاني، ١٩٦٤، ص ٥٠)

الخاتمة:

فموضوع علم الدلالة هو المعنى اللغوي الذي تكون انطلاقة من "معنى المفردة من حيث حالتها المعجمية، ومتابعة التطورات الدلالية والتغيرات التي تأخذها الكلمة في السياقات المختلفة، إذ يصعب تحديد دلالات الكلمة لأنها لا تحمل في ذاتها دلالات مطلقة، وإنما السياق هو الذي يحدد لها دلالاتها الحقيقية، بالإضافة إلى دراسة الأصوات وعلاقات التركيب المؤثرة التي تقضي على الدراسات التكاملية.

تتمثّل الدلالة عند المحدثين "بالعلم الذي يتناول دراسة المعنى"، وهو فرع من علوم اللغة القائم على نظرية المعنى، وقد حدّد المحدثون المباحث التي يحويها موضوع علم الدلالة منها: التطور الدلالي، وأنواع وأقسام الدلالة، والحقول الدلالية والنظريات الدلالية، والمجاز، وغيرها من المباحث. جعل النحاة الجملة مرافقة للكلام بشرط الإفادة، كابن جنّي وعبد القاهر الجرجانيّ والزمخشريّ، إذ الكلام عندهم ما قام بمعناه، وهو ما يسمّى بالجملة، ومنهم من جعل الجملة لا تقوم إلا بإسناد، سواء كانت مقصودة لذاتها أم لا، كالجملة التي هي خبر للمبتدأ. وعليه، فالجملة سواء أكانت اسمية أم فعلية هي "نظام إسنادي بوصفها تركيباً مؤلفاً من كلمتين: إحداهما أسندت إلى الأخرى، والشرط فيه أداء معنى مستقلّ يكتفي فيه المتكلم بفهم المراد، وذكر المبرد أنّ الجملة ما يحسن السكوت عليها، وتجب فيها الإفادة للمخاطب".

قائمة المصادر:

النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)، محمد حماسة عبداللطيف، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط ١، ١٩٨٣م، ص ١٧١.
دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ٥٢٥.
علوم البلاغة (البدیع والبيان والمعاني)، محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ٢٠٠٣م، ص ٢٦٠، ٢٥٩.
معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب المبيدي، دار الفرقان، ط ١، ١٠٨٥م، ص ١٨٣.
دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم (دراسة تحليلية)، منير محمود المسيري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ٤٩.
أثر الترجمة في أسلوب التقديم والتأخير في القرآن الكريم، هالة محمود شهاب، مجلد ١٧، عدد ٢، ٢٠١٠م، ص ١٤٣.
بلاغة التقديم والتأخير في خطبة الأشباح للإمام علي عليه السلام، عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي، موقع أكاديميا، ص ١٧٧، اطلع عليه بتاريخ ١٠ / ٣ / ٢٠٢٤م.

كتاب سيبويه، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٧م، ص ١٥.

البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، بيروت، ط ٢، دت، ص ٢٣٤.

النقد الأدبي، د.سهير القلماوي، دار المعرفة، القاهرة، ط٢، ١٩٥٩م، ص٨٧.

المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمد عبد المجيد السلفي، القاهرة، ج١، ص٣١٨.

كنز العمال، المتقي الهندي، شركة التراث للبرمجيات، ٢٠١٥م، ج٥، ص٧٢٣.

كتاب الصناعتين، أبو هلال بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٩٥٢م، ص٥٧.

المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م، ج٤، ص١٨٧، ٣٩٣٤.

التعريف والتتكير بين الدلالة والشكل، محمود أحمد نحلة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م، ص٢١.

فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام، الخراساني، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مؤسسة

المحمودي للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٨م، ج١، ص٣٩.

صيغة أفعال التقضيل في القرآن الكريم (دراسة نحوية)، د.أحمد إبراهيم الجديدة، مجلة العلوم الإسلامية، مجلد ٢٠، عدد ٢، ص٢٥٦.

التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، ابن الزملاكاني، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، ط١، ١٩٦٤م، ص٥٠.

List of Sources:

Grammar and Semantics (An Introduction to the Study of Grammatical and Semantic Meaning), Muhammad Hamasa Abdul Latif, Faculty of Dar Al-Ulum, Cairo University, 1st ed., 1983, p. 171.

Dala'il Al-I'jaz, Abd Al-Qahir Al-Jurjani, edited by Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Khanji Library, Cairo, p. 525.

Sciences of Rhetoric (Badi', Bayan, and Ma'ani), Muhammad Ahmad Qasim and Muhyi Al-Din Deeb, Modern Book Foundation, Lebanon, 2003, pp. 259-260.

Dictionary of Grammatical and Morphological Terms, Muhammad Samir Najib Al-Mubdi, Dar Al-Furqan, 1st ed., 1985, p. 183.

Implications of Advancement and Delay in the Holy Qur'an (An Analytical Study), Munir Mahmoud Al-Messiri, Wahba Library, Cairo, 1st ed., 2005, p. 49.

The Impact of Translation on the Style of Advancement and Delay in the Holy Qur'an, by Hala Mahmoud Shehab, an article published in the Journal of Education and Science, Volume 17, Issue 2, 2010, p. 143.

The Rhetoric of Advancement and Delay in the Sermon of Ghosts by Imam Ali (peace be upon him), by Abdul Hadi Abdul Rahman Al-Shawi, Academia website, p. 177, accessed March 10, 2024.

The Book of Sibawayh, Sibawayh, edited by Abdul Salam Haroun, Al-Khanji Library, Cairo, 3rd ed., 1977, p. 15.

Al-Burhan fi Ulum al-Quran, by Al-Zarkashi, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Turath, Beirut, 2nd ed., n.d., p. 234.

Literary Criticism, by Dr. Suhair al-Qalamawi, Dar al-Ma'rifa, Cairo, 2nd ed., 1959, p. 87.

Al-Mu'jam al-Kabir, by Sulayman ibn Ahmad al-Tabarani, edited by Hamad Abdul Majeed al-Salfi, Cairo, Vol. 1, p. 318.

Kanz al-Ummal, by al-Muttaqi al-Hindi, Al-Turath Software Company, 2015, Vol. 5, p. 723.

Kitab al-Sina'atayn, by Abu Hilal ibn Sahl al-Askari, edited by Ali Muhammad al-Bajawi and Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar Ihya' al-Kutub al-Arabiyya, Beirut, 1st ed., 1952, p. 57.

Al-Mu'jam al-Awsat, by al-Tabarani, edited by Tariq ibn Awad Allah ibn Muhammad, Dar al-Haramain for Printing, Publishing, and Distribution, 1995, Vol. 4, p. 187, Hadith No. 3934.

The Definition and Indefiniteness Between Meaning and Form, by Mahmoud Ahmad Nahla, Zahra al-Sharq Library, Cairo, 1st ed., 1999, p. 21.

Fara'id al-Simtayn fi Fadhail al-Murtada, al-Batul, al-Sibtayn, and the Imams from their Descendants, peace be upon them, by al-Khurasani, edited by Muhammad Baqir al-Mahmoudi, al-Mahmoudi Foundation for Printing and Publishing, Beirut, 1st ed., 1978, Vol. 1, p. 39.

The comparative form of Af'al in the Holy Qur'an (a grammatical study), by Dr. Ahmed Ibrahim Al-Jadida, Journal of Islamic Sciences for Humanities Research, Volume 20, Issue 2, p. 256.

Al-Tibyan fi Ilm al-Bayan al-Mutla'a 'ala I'jaz al-Qur'an, by Ibn al-Zamlakani, edited by Ahmed Matloub and Khadija al-Hadith, Al-Ani Press, Baghdad, 1st ed., 1964, p. 50.